العدد الثامن والعشرون

مجلة كلية
الدعوة الإسلامية

مَجَلّةٌ إسْلامِيّةٌ – ثَقَافِيّةٌ – جَامِعَةٌ – مُحْكَمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ كلية الدعوة الإسلامية

العدد
28
1435هـ - 2014م

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

1435 هجري الموافق 2014 ميلادي

- مسلك المالكية في الاحتجاج بالأحاديث المتعارضة
- هل يجوز إخراج زكاة الفطر نقداً ؟
- اللغة وصياغة الدستور (دراسة في لسانيات النص الدستوري)
- أخطاء الحريري في شرح ملحة الإعراب
- حماية أموال الوقف في القانون الليبي
- العلامة المفتي عبد الرحمن القلهود

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

BULLETIN
OF THE FACULTY
OF
The Islamic Call
Twenty eighth year

ألفاظ القرآن الكريم هل كلها عربية الأصل؟

أ. د. الطاهر خليفة القراضي*

إن هذه القضية قضية قديمة متجدّدة، تشكل جدلا وحوارا عميقين بين فريقين يرى كلٌّ منهما أنه على حقٍّ: الأول أنصار عروبة القرآن الكريم بكل ألفاظه، ومفرداته، وبكل أساليبه وتراكيبه. والآخر أنصار عروبة القرآن بكل أساليبه وتراكيبه، وتعابيره، وليس بكل ألفاظه ومفرداته.

الفريق الأول:

يرى أصحاب هذا الفريق أنه لا يمكن أن تكون بالقرآن الكريم مفردات ـ أو مفردة ـ غير عربية وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾[2]، وقال:

(*) جامعة الزاوية.

(1) سورة يوسف، الآية: 2.

(2) سورة الرعد، الآية: 37.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[1]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[2]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾[3]، وقال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[4]، وقال: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[5]، وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[6]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[7]، وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[8]، وقال: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾[9].

ومما لا شك فيه أن هذه النصوص القرآنية تؤكد عروبة القرآن، ومن ثمّ، فإذا قلنا إن بالقرآن ألفاظا غير عربية، فإن ذلك يناقض ما جاء في هذه النصوص والآيات القرآنية الصريحة التي تنصُّ على عروبة القرآن. وحيث إن الله قد أكد عروبة القرآن، فإنه من غير المنطقي ولا المعقول أن نزعم أن في القرآن مفردات غير عربية الأصل، ذلك أن وجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم يناقض مبدأ الإعجاز القرآني؛ فكيف يمكن أن يأتي القرآن بلغة غير عربية لإعجاز العرب؟[10].

(1) سورة النحل، الآية: 103.
(2) سورة طه، الآية: 110.
(3) سورة الشعراء، الآيات: 193-195.
(4) سورة الزمر، الآية: 27.
(5) سورة فصلت، الآية: 3.
(6) سورة فصلت، الآية: 44.
(7) سورة الشورى، الآية: 5.
(8) سورة الزخرف: الآية: 3.
(9) سورة الأحقاف، الآية: 11.
(10) انظر رأي أبي جعفر محمد بن جرير الطبري كما أورده أحمد عبد الله هاشم: =

ومن الباحثين المعاصرين من يرى أن العلماء العرب قد أكدوا أن القرآن الكريم عربيٌّ من حيث المفردات والتراكيب، ولذلك لا يجوز لنا أن نفصل بين المفردات والأساليب في القرآن الكريم عند الخوض في قضية عروبة القرآن الكريم. فالاعتراف بوجود ألفاظ أو مفردات أعجمية في القرآن الكريم يتقاطع مع عروبته. فما توصّل إليه هؤلاء العلماء هو ما ورد صريحا في القرآن الكريم بنفي العجمة عليه، وهذا أمرٌ صريح بنفي العجمة على أساليبه وتراكيبه ومفرداته وألفاظه[1].

وبناء على فهم النصوص القرآنية المذكورة أعلاه، يرى كثير من العلماء[2] التسليم بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم فيه مخالفة صريحة لما أكّده جلّ جلاله من عروبة القرآن.

وأعتقد أن بعض الباحثين يعالج قضية «وجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم» بشيء من المماحكة والشطط انطلاقا من العاطفة القومية والدينية التي لا يدعمها دليل قاطع، وقد لا يسلّم بها العقل تسليما قطعيا مطلقا. فتجد من يقول بأن «كثيرا من العلماء يقولون بأولوية اللغة العربية وتقدمها على غيرها من اللغات، وأنّ كلّ لغة سواها إنما حدثت بعدها...»[3] كما تجد من يقول: «ولم

= «قضية المعرّب في ألفاظ القرآن الكريم» **مجلة كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية**، جامعة بنغازي (العدد الأول، السنة الأولى، 1973-1974، ص247-275)، ص254، 255.

(1) انظر: محمد كريم الكواز، **الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 1426 هجرية، ص190.

(2) من مثل الدكتور إبراهيم رفيدة «القرآن واللغة العربية» **مجلة كلية الدعوة الإسلامية** (العدد: 2، 1985، ص39-49)، والدكتور أحمد عبد الله هاشم «قضية المعرب في ألفاظ القرآن الكريم» **مجلة كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية**، جامعة بنغازي (العدد الأول، السنة الأولى 1973-1974، ص247-275).

(3) أحمد عبد الله هاشم، «قضية المعرّب في القرآن الكريم» **مجلة كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية**، جامعة بنغازي (العدد الأول، السنة الأولى 1973-1974، ص247-275)، ص264.

تكن [اللغة العربية] بحاجة إلى الاستعارة، أو الأخذ والنقل، فقد كانت هي النبع الذي صدرت عنه بقية الألسن واللغات المحيطة بها على مرّ الزمان، وبذا كان هذا الكمال المعجز في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»[1].

فهذه الآراء في حاجة إلى دليل لتكون قادرة ـ علميا ومنطقيا ـ على إقناع مَن يريد أن يقتنع دونما انجراف وراء العاطفة والحماس القومي أو الديني والعقدي غير المشفوع بالدليل والبرهان. وإلا كيف نستطيع أن نقنع غير المسلم بأن اللغة العربية هي أم اللغات العالمية، وأن كلّ اللغات عالة على العربية، وأن العربية هي التي أنجبت كل اللغات الموجودة في العالم قديمِهِ وحديثِهِ عندما نقول ما معناه أن اللغات العالمية الحيّة الآن وليدة اللغة العربية ؟؟؟[2] لا شك أن في هذه الأحكام تعاطفا ـ من أساتذتنا، وعلمائنا الأجلاء ـ مع اللغة العربية، وانحيازا لها بغية تبرئة القرآن مما يظنون أنها تهمة يجب أن تُدحض وتُدفع عنه. فلا شك أن علماءنا قد «فعلوا ذلك ليدرأوا عن العربية شبهة العجمة ويبرئوها من تهمة الدخيل، وظنوا أنهم استطاعوا ذلك فقالوا: (ليس في كتاب الله شيء من لغة العجم)... وقد جهدوا جهدهم في الْتماس الأصول العربية لجميع الكلمات الأعجمية فجاءوا من ذلك بما لا يتفق مع فضلهم... ولقد غالىٰ الأقدمون في تقديس العربية حتى ادّعوا أن واضعها الأول هو الله سبحانه، محتجين بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[3] وهي حجة لا تنهض بدعواهم إلا إذا ثبت أن الأسماء التي علمها اللهُ آدمَ كانت عربية»[4].

---

(1) علي فهمي خشيم، **هل في القرآن أعجمي؟ نظرة جديدة إلى موضوع قديم**، بيروت: دار الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، 1997، ص32.

(2) انظر: رفيق معلوف، «العربية هي أم اللغات» **مجلة العربي الكويتية** (العدد 533 أبريل 2003، ص16-23).

(3) سورة البقرة، من الآية: 30.

(4) أحمد حسن الزيات، **وحي الرسالة**، بيروت: دار الثقافة، ط: 10، 1985، ج3، ص178-179، ويتفق مع الزيات في هذا الرأي عبد القادر بن مصطفى المغربي. كتاب الاشتقاق والتعريب. القاهرة، مطبعة الهلال، 1908، ص26-27.

إن نظرية إعادة كل الألفاظ الأعجمية إلى أصول عربية ـ وهي النظرية التي نادى بها علماؤنا وأساتذتنا الأفاضل ـ لا تبعد كثيرا عما نادى به العلماء اللغويون الأتراك الذين يرون أن اللغة التركية هي أمٌّ ومصدرٌ لكل اللغات الأوروبية ولذلك اعتمدوا في معاجمهم ما ورد إليهم من اللغتين الإنجليزية والفرنسية على اعتبار أن الاقتراض من اللغات الأوروبية يُعدُّ إعادة لتلك الألفاظ إلى موطنها الأصلي[1]. فهذا المنطلق هو نفسه الذي انطلق منه علماؤنا لإثبات أن العربية هي أم اللغات العالمية، ولغات الجوار. ومن ثمّ لا يكون بالقرآن أعجمي. وما دامت العربية - حسب هذا المفهوم- هي الأصل لكل اللغات العالمية، فهذا يقودنا إلى أن نقول: ليس هناك في هذا العالم إلا لغة واحدة وهي اللغة العربية، وفي ذلك ما فيه من التعسف الذي قد لا يقبله المنطق والعقل لدى غير المنادين بهذه النظرية.

وأما قضية تقديس اللغة العربية، وجعلها لغةً لسيدنا آدم عليه السلام إلى درجة أنه نظم بها شعراً[2] فإن ذلك أمرٌ لم تأتِ به النقول الموثقة، ولم تثبته البحوث والدراسات، ولم ترد بشأنه آراء قطعية لا تقبل النقاش. وما دام الأمر كذلك، فإنه من المستحيل أن نقطع بما أورده أساتذة اللغة العربية من أن العربية هي أم كل اللغات العالمية، والمجاورة آنذاك.

ثمّ كيف يمكن أن نقنع غير المسلم بأننا لسنا متعصبين، أو متعاطفين مع اللغة العربية عندما نقول: «لقد اكتفينا هنا بتقديم بعض الأمثلة على خطأ الآراء القائلة بأن العربية، لغة القرآن الكريم، كانت في حاجة إلى أن تأخذ من اللغات الأخرى ما لم يكن فيها من ألفاظ. ولم يكن الدافع في ما ذهبنا إليه من نفي

(1) انظر: روبرت ل. كوبر .**التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي**، ترجمة الدكتور خليفة أبو بكر الأسود، مجلس الثقافة العام، بنغازي، الطبعة الأولى 2006، ص278 مع ملاحظة أن صاحب هذا الكتاب أطلق على هذه النظرية اسم «نظرية الشمس الكبرى» وربما يكون ذلك من باب المجاز أو من باب الإشارة إلى الشطط والغلو في مبدأ هذه النظرية.

(2) انظر: الطاهر خليفة القراضي، **من هنا وهناك قطوف من الأدب واللغة**، مجلس الثقافة العام، بنغازي، ط. 1، 2006، ص221.

العجمة عن الكتاب العزيز من باب التعصب للغة الشريفة، ولكن هذا ما يثبته التحقيق والتنقيب والبحث العلمي النزيه»[1].

إن أحكاماً مرسلة من مثل هذه الأحكام ليست قادرة على النهوض بهذه الدعوى الجادة والملحّة لإثبات خُلُوّ القرآن الكريم من الألفاظ الأجنبية، ذلك أن هذا الزعم ليس له من الأدلة ما يقبله العقل ويصدقّه، أو ما يدعمه النقل ويؤيده.

الفريق الثاني:

يرى أصحاب هذا الفريق أن القرآن الكريم عربيٌّ في كلّ أساليبه، وتراكيبه وتعابيره، وليس عربيا بكل ألفاظه، ومفرداته. ويرون أن النصوص القرآنية الواردة في مقدمة البحث إنما تصف القرآن الكريم، وتحكم عليه بعروبته من حيث الأساليب والتراكيب، وليس من حيث أصول المفردات وجذورها. كما أنهم لا ينكرون أن الألفاظ غير عربية الأصل، والموجودة في القرآن الكريم، أدخلها العرب إلى اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم حيث أخضعوها للسانهم، وطبّقوا عليها قواعد صرفهم، ومخارج أصواتهم، فصارت عربية بالتعريب والاستعمال حتى وإن لم تكن عربية الأصل. فهذا القرطبي مثلا، يتفق مع الفريق الأول على أن القرآن الكريم ليس به كلام مركب على غير أساليب العرب، ويتفق أيضاً مع الفريق الثاني على أن بالقرآن الكريم ألفاظا غير عربية الأصل ولكنها من القلة بحيث لا تجعل القرآن غير عربيّ أو الرسول صلى الله عليه وسلم غير عربيّ[2] وليس بمستبعد أن تكون العرب العاربة قد أدخلت في لغتها ألفاظا «في الأصل أعجمية لكن استعملتها العرب، وعرّبتها فهي عربية بهذا الوجه. وقد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر

(1) علي فهمي خشيم، **هل في القرآن أعجمي؟**، ص31-32.

(2) انظر: **الجامع لأحكام القرآن**، دار الشام للتراث، بيروت، ط2، 1952، ج1، ص68.

الألسنة... فعلقت العرب بهذا كلّه ألفاظا أعجمية غيّرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن...»[1]. فوجود مفردات غير عربية الأصل في القرآن الكريم لا يقدح في عروبته أسلوبا وتراكيبَ، ولا يتنافى أو يتعارض مع الفهم السليم للآيات القرآنية التي تنص صراحة على عروبة القرآن. ذلك أن هذه المفردات لم تعد أعجمية دخيلة، بل أصبحت عربية متداولة بين العرب قبل نزول القرآن الكريم؛ فعندما نزل القرآن، نزل «بلغة العرب وعلى أساليب العرب في كلامهم، فألفاظه عربية إلا ألفاظا قليلة عرِّبت وأُخذت من اللغات الأخرى، ولكن هضمتها العرب وأجرت عليها قوانينها»[2]. لقد كان العرب «يقتبسون من لغات الأعاجم ما شاؤوا [كذا] وشاءت حاجتهم، ثم لا يأنفون من استعمال هذه الكلمات المعرَّبة. ولا يخرج كلامهم بها عن حدّ الفصاحة. ولا يفقد رونق عروبته وتأثير بلاغته»[3] «ومما صرّح به العلماء في بحث الكلمات المعرَّبة الواردة في القرآن ـ أن تلك الكلمات لا تؤثر في عروبة القرآن ولا تخرجه عن كونه (قرآنا عربيا) كما أخبر الله تعالى. وهؤلاء فصحاء العرب أنفسهم كانوا يستعملون الكلمات الأعجمية في منظومهم ومنثورهم ويَبقون مع هذا فصحاء بلغاء وكلامهم فصيحا بليغا»[4]. ومع ذلك فإن العلماء الذين ينادون بعدم وجود أعجمي في القرآن الكريم، إنما جاءوا من خلفية تنزيه القرآن تماشيا مع

(1) هذا رأي ابن عطية في مخطوطه **المحرر الوجيز** نقلاً عن أحمد عبد الله هاشم: «قضية المعرّب في ألفاظ القرآن الكريم» **مجلة كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية**، جامعة بنغازي (العدد الأول، السنة الأولى 1973-1974، ص247-275)، ص253، كما أورد أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي هذا النص منسوباً لابن عطية دون إشارة إلى المخطوط الذي ذكره أحمد هاشم، انظر القرطبي، الجامع، ج1، ص68-69.

(2) أحمد أمين، **فجر الإسلام**، بيروت: دار الكتاب العربي ط10، 1969، ص195.

(3) عبد القادر بن مصطفى المغربي، **كتاب الاشتقاق والتعريب**، القاهرة، مطبعة الهلال 1908، ص25.

(4) المصدر السابق، ص70.

فهمهم لعروبته كما أوردها الله جلّ جلاله بالآيات المذكورة آنفا. وقد حاول بعضهم أن ينفي وقوع الأعجمي في القرآن ذهابا إلى أن وقوعه فيه ينفي كونه عربيا، وقد قال تعالى إنه عربيٌّ. لكن قول هذا البعض أصبح مغمورا بأقوال جِلَّة العلماء وكبار الباحثين. وقد استدلوا على الوقوع بأدلة كثيرة: منها ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعيّ الجليل قال: (في القرآن من كلّ لسان). وقال آخر: «لما حوى القرآن علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شيء، فلا بدّ أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن لتتم إحاطته بكل شيء فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب»[1].

وقد أشار ابن عاشور إلى أن السيوطي، وابن الجوزي يريان أن القرآن الكريم به ألفاظ معرّبة. ويفهم من هذه الإشارة أنّ ابن عاشور يقرّ ما جاء عن هذين العالمين، وغيرهما من أن القرآن الكريم به ألفاظ غير عربية الأصل[2].

فهل يعيب القرآن الكريم أو يشينه أن يكون قد نزل على العرب بما كان متداولا عندهم من الألفاظ غير العربية الأصل ما دام العرب قد طوّعوها وأخضعوها للسانهم فصارت عربية بالتعريب والاستعمال حتى لو لم تكن في الأصل عربية؟. خاصة، و«أن الكلماتِ المعرَّبةَ عربيةٌ أو بقوة العربية حتى لا يكون ثمّ فرق في صحة الاستعمال بينها وبين تلك التي تكون عربية الأصل»[3] ثمّ أوَليس «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»؟[4] الألفاظ غير العربية التي وردت في القرآن الكريم فقدت عجمتها، واكتسبت عروبتها قبل الإسلام وذلك بخضوعها لقوانين اللغة العربية، وصرفها وأوزانها، فمما لا

(1) المصدر السابق، ص50- 51.

(2) انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، غير مؤرخ، الجزء الأول، ص190. وقد أشار عبد القادر المغربي ص 76- 77 إلى رأي ابن الجوزي وغيره في هذا الشأن ولكنه لم يشر إلى السيوطي اسماً.

(3) عبد القادر المغربي، ص118.

(4) مقولة ابن جنّي كما أوردها أحمد حسن الزيات، **وحي الرسالة**، ج3، ص178.

شك فيه أنّ «الظروف التي مرّ بها العرب سمحت لهم بالاتصال بأمم أخرى كالروم والفرس والهنود وتبادلوا معهم البضائع وما تحتاج [كذا] إليه من منتجات زراعية أو صناعية، فتأثروا بهم وأثروا فيهم، واقترضوا منهم بعض الألفاظ، وهي التي لم تجد لها في قاموسهم اللغوي ما يناسبها، اقتبسوها من أصحابها بعد أن ألبسوها حلة عربية وأخضعوها لنظام خاص بما فيه أصواتها وأوزانها، وهذا ما عُرف بالمعرّب... وما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ معرّبة لم تكن غريبة على العرب آنذاك، بل كانوا يستخدمونها في أشعارهم ويتكلمون بها في أحاديثهم اليومية وقد استعملوها بعد أن وردت من شعوب أخرى مع الأشياء التي اقتبسوها منها لظروف مختلفة»[1] «ولما أُنزِل القرآن ـ وهو المعجز ـ تضمّن كثيرا من تلك الكلمات الأعجمية التي أدخلها عامة العرب مع بضائعهم وصَقَلَها بلغاؤهم وشعراؤهم بألسنتهم حتى أصبحت بذلك فصيحة كسائر فصيح كلامهم. ولم ينزل بها القرآن عن درجة بلاغته، ولم تفارقه مزية إعجازه»[2]. فالدرهم والدينار مثلا لفظان معرّبان وردا في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر بعد إخضاعهما للأوزان العربية[3]. ومثل ذلك لفظتا (قرآن) و(فرقان) ليستا عربيتين بل هما آراميتان معربتان[4]. فما ورد من ألفاظ أعجمية بالقرآن الكريم إنما هو ألفاظ معرّبة تعريبا طبيعيا لأن العرب أخضعوها لسليقتهم وسجية

(1) مناف مهدي الموسوي، «نظرة في تاريخ الترجمة وتعريب العلوم» **المجلة الجامعة**، جامعة السابع من أبريل (السنة الأولى 1998، العدد الأول، المجلد الأول، ص87-99)، ص88-89. وكذلك يُنظر ما أورده عبد القادر المغربي من ألفاظ أعجمية أصبحت عربية قبل نزول القرآن الكريم ووردت في القرآن لأنها لم تعد أعجمية. كتاب الاشتقاق والتعريب، ص40-43. وكذلك انظر عمران شعيب «العربية لغة الإسلام» **مجلة كلية الدعوة الإسلامية** (عدد خاص 1986، ص147-151).

(2) عبد القادر المغربي، ص47-48، ويواصل عبد القادر المغربي إيراد الألفاظ الأعجمية الواردة في القرآن الكريم مع إرجاع كلٍّ منها إلى الأصل غير العربي.

(3) عبد الله كنون، «الدرهم والدينار في اللغة العربية» **مجلة العربي الكويتية** (العدد 187 يونيو 1974م ص36-39).

(4) انظر: صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، بيروت: دار العلم للملايين، ط16، 1985م، ص20.

لغتهم، ودمجوها في لسانهم دمجا أقرب ما يكون إلى الدمج العضوي[1]. وقريب من هذا القول ما قاله الجواليقي من أن بالقرآن ألفاظا غير عربية في الأصل، ثمّ لفظت بها العرب بألسنتها فعرّبتها، فصارت عربية بالتعريب، أي أنها عربية باعتبار الحال، وأعجمية باعتبار الأصل[2].

وهذا الدكتور علي فهمي خشيم ـ وهو من المنادين بنظرية «اللغة العربية أمٌّ لكل اللغات المجاورة»ـ يصل إلى رأي يقول فيه بأن العربية احتضنت قديما بعض الألفاظ الأعجمية فاستعملها العرب كما لو كانت جزءا من اللغة العربية «وقد يسّر هذا الاتجاه [التعريب والنحت] دخول ألفاظ أعجمية الأصل في لغتنا العربية حتى صارت جزءا منها... ولم يعد أحدٌ يتحرّج من استعمالها كما هي في أصلها أو معرّبة بحسب التصريف العربي»[3]. ثمّ يتساءل بعد ذلك عما إذا كان لمثل هذه الألفاظ الأعجمية أصول أو جذور عربية. كما نجده يقول بأن كثيرا من المصطلحات الأجنبية دخلت العربية، وكثيرا من المصطلحات والمستحدثات العربية دخلت اللغات الأوروبية بعد إخضاعها للمعايير اللغوية للغة الناقلة[4]. بمقارنة ما قاله الدكتور علي فهمي خشيم من أن العربية هي أم اللغات المجاورة[5] بما قاله هنا من أن ألفاظا عربية دخلت اللغات الأوروبية والعكس، نجد أنفسنا أمام رأيين: أحدهما يقول بعدم وجود لغة غير العربية العروبية، والآخر يعترف بوجود لغات أخرى، فكيف يمكن أن نوفّق بين هذين الرأيين؟ وهل يمكن أن نفهم أن دعواه ـ التي تنص على أن العربية هي أم اللغات

(1) انظر: ممدوح خسارة، «طريقة القدماء في التعريب اللفظي» **مجلة مجمع اللغة العربية**، دمشق (مجلد 70، ج3، 529 ـ552).

(2) انظر عبد القادر المغربي، ص76، وكذلك، انظر نوري حسن المسلاتي «التعريب بين الرفض والقبول» **مجلة الثقافة العربية** (العدد 261 يوليو 2005 ص115-121).

(3) من مقالة «إرجاع الأعجمي إلى أصله العربي هل يحل مشكلة التعريب؟ **مجلة الفصول الأربعة** (العدد 92 يوليو 2000م، ص20-29)، ص22.

(4) المصدر السابق، ص21.

(5) راجع علي فهمي خشيم، **هل في القرآن أعجمي؟**، ص32.

المجاورة، وكلٌّ ما سواها من اللغات إنما هو وليدها وناتج عنها ـ أصبحت ملغاة وغير سارية المفعول لأنه قال بها عام 1997م، بينما رأيه القاضي بوجود لغات أوروبية اقترضت من اللغة العربية وقرضتها قال به عام 2000م. فكأنه أصبح يؤمن بوجود لغات أخرى غير اللغة العربية، بعد أن كان ينكر ذلك، ولا يعترف باستقلالية غيرها عنها؟؟؟

إن ما يذهب إليه بعض العلماء من محاولة إعادة كل الألفاظ المستعملة في اللغة العربية إلى جذر أو أصل عربي أمرٌ لا يقبله العقل والمنطق «فهناك من يرفض هذا الضرب من التحليل والتأثيل والتأصيل ويعتبره شكلا خادعا من أشكال الحماسة القومية الزائدة عن الحد وأن ثمة تعسفا وتمحكا ولَيّاً للمسائل لتوافق غاية يسعى إليها المحلِّل المؤثِّل المؤصِّل، من حيث سبق العربية، وأخواتها العروبيات، وأثرها في اللغات الأخرى. كما أن هناك من ينطلق من السبق التاريخي، وجودا وحضارة وثقافة وعلما، على امتداد الوطن العربي الكبير، مما أدّى إلى أثر لغوي لفظا وصرفا ونحوا، في الأمم المتأخرة تاريخيا ـ كاليونان والرومان ـ أثرا ملحوظا يظهر عند البحث والتقصي، ويذهب إلى أن عوامل عنصرية وثقافية هي التي أخفت ـ عن عمد أو عن غير قصد ـ هذا الأمر، بل جعلت أبناء الأمة العربية أنفسهم يؤمنون بأن لغتهم متأخرة في الوجود متخلفة عن ركب الحضارة البشرية، وأن طابعها (البدوي) أبعدها عن مجال العلوم التطبيقية منها خاصة. والكاتب [علي فهمي خشيم] من أهل هذا الاتجاه الأخير على كل حال»[1]. والسؤال الآن: ألا يرى الدكتور علي فهمي خشيم أن في نظريته ومحاولته إرجاع كل الألفاظ إلى العربية شططا وتمحكا؟ ثم أليس في هذا النص اعتراف من كاتبه بأن هناك لغة عربية مستقلة عن غيرها من اللغات؟ أو بمعنى آخر أن هناك لغات أخرى لها كيان مستقل عن اللغة العربية إلى درجة جعلت الدكتور علي خشيم نفسه يظن أن اللغة العربية لغة بداوة وليست لغةً للعلوم التطبيقية؟

(1) علي فهمي خشيم، **إرجاع الأعجمي إلى أصله العربي**، ص23.

من كل ما تقدم، يمكن أن نصل إلى أن الخلاف بين مَن يقولون بوجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم، ومَن يقولون بخلاف ذلك إنما هو خلاف لفظي وليس خلافا معنويا. فكلا الفريقين يريان أنّ القرآن الكريم نزل باللغة العربية، فكل أساليبه وتراكيبه عربية، وحتى الذين يقولون ليس بالقرآن شيء من غير العربية إنما يعنون عدم وجود ألفاظ خارجة عن قوانين اللغة العربية وأبنيتها وأوزانها[1].

ولعل خير نتيجة أختتم بها هذه المقالة هي الخاتمة الطريفة، اللطيفة التي اختتم بها عبد القادر المغربي كتابه حيث قال: «إذا تنكرنا لتلك الكلمات الدخيلة، وأسأنا بها الظن، وقلبنا لها ظهر المجن، وعملنا على طردها من بين أظهرنا ـ أخشى أن يدركها الحنق علينا، وتعمل على الانتقام منا، فتغري بنات جنسها أعني الكلمات المعرَّبة كلها من قديم وحديث ـ بالاعتصاب العام ويصممن على الجلاء والانسحاب من بين سطور لغتنا، وبيوت أشعارنا، وبديهيّ أن كلمة (الله) تكون معهن: لأنها سريانية أو عبرانية. وما ظنّك بفئةٍ (اللهُ) معها؟ لمن يكون الفلاح والنصر والغلبة؟ لا جرم أن تلك الكلمات الدخيلة الأعجمية الأصل التي لا عداد لها ـ لو غادرت لغتنا لأبقت فيها فراغا واسعا، يعسر علينا أن نملأه بكلمات عربية أصيلة: من ذلك عدة آيات وأحاديث إذا غادرتها كلماتها الأعجمية مسّت الحاجة إلى أن يخلفها غيرها من العربية المحضة، وفي هذا ما يدعو إلى وقف دورة الفلك وإعادة ما مضى من الزمن، وتجديد أمر البعثة، وإنزال الوحي. اللهم غفرانك»[2].

(1) انظر: نوري حسن المسلاتي: **التعريب بين الرفض والقبول**، ص116.
(2) عبد القادر المغربي، ص145-146.